

في نور محمد فاطمة الزهراء

حتّى إذا انتهى به السير والسرى، وعرض على محمد ما جاء فيه، أبى الغلام إلاّ البقاء في يمين سيّده، مؤثراً إيّاه على البلد والآل. وعجب الرجل لفتاه: يا زيد! أختار العبودية على أبيك وأُمّك وبلدك وقومك؟ قال الفتى: نعم! إنّي قد رأيت من هذا الرجل شيئاً، وما أنا بالذي يفارقه أبداً. عندئذ كرمه محمد، اتّخذه ولداً ... سمّاه «زيد بن محمد»، وأعلن في الملاء أنّ لغلّامه هذا عليه - كعرف العرب في ذلك الحين - نفس حقوق الابن الصريح البنوّة على أبيه. ثم جاء الإسلام، فكان زيد أحد فتيين سبقاً إلى اعتناقه ... هو الثاني، والأول عليّ. ومضت به حياة الجهاد في الإسلام، وهو في غمارها، مع قادة المجاهدين في الصدارة. * * * وكبر الغلام ... امتلاً فتوّة ... استوى شباباً وكما يحدث لمن هم أمثاله الراقون في سلّم الرجولة، حنّ حنينه إلى زوجة يأنس بها، ويسكن إليها، وتقوم بينه وبينها مودّة ورحمة. وعندئذ خطب له رسول الله ﷺ زينب بنت عمّته، وما اختار، بل اختار ... قضى سبحانه وتعالى بهذه الخيرة لحكمة في مكنون علمه. ونزلت الخطبة كالخطب على زينب! تمنّعت ... وساندها في التمنّع أخوها عبد الله. وكيف تقبل وهي القرشية، زينة الهاشميّات، وحفيدة عبدالمطلب، أن يبني بها ذلك الذي ما زال موسوماً بالرقّ وإن حرّره العتق؟ أيّ عار! لكنّ النبي ما زال بها يحنّ عليها على الأخذ بما اختار، حتّى مالت إلى رأيها بعض